النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٦ / ١٩٩٩

الأحد ٧ شباط

أحد الإبن الشاطر

تذكار القديس برثانيوس أسقف لمبساكن

والبار لوقا الذي كان في استيريون

من بلاد اليونان

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثاني

الـــرســـالـــة (١ كورنثوس ٦ : ١٢ – ٢٠)

الإنـــجـــيـــل (لوقا ١٥ : ١١ – ٣٢)

+ الشهيد نيكيفوروس

تعيّد الكنيسة المقدّسة في التاسع من شهر شباط لتذكار الشهيد نيكيفوروس الذي عـــاش في القرن الثالث وكان نموذجاً يُقتدى به في المحبة والفضيلة والتسامح.

عاش في مدينة إنطاكية وكان له صديق حميم، كاهن مسيحي تقي اسمه سابريتسيوس، وكانا يتنافسان في أعمال الصلاح. لكن سرعان ما انقلب ما بينهما عداوة لسبب لا نعرفه.

لم يستطيع نيكيفوروس إحتمال الأمر خاصة بعد أن تأمّل الكتاب المقدس والدعوة الـــى محبة القريب والعدو، فما كان منه إلا أن سعى صادقاً من أجل مصالحة سابريتسيوس. تدخـــل الوسطاء فلم يقبل سابريتسيوس. إنطرح نيكيفوروس عند قدميه وتوسّله فلم يلقَ جواباً.

بعد أشهر قُبض على سابريتسيوس بسبب ايمانه المسيحي واقتيد امام الوالي، فدافع عن الإيمان دفاعاً مستميتاً إلا أن فضيلة واحدة كانت تنقصه: محبة صديقة نيكيفورس التي من دونها لا ينتفع شيئاً، حتى لو أحرق جسده، كما يقول الرسول بولس (١ كو ٣:١٣). أمر الوالي بقطع رأس سابريتسيون ، فعلم نيكيفوروس بالأمر وقرّر الذهاب اليه وطلب الغفران منه قبل أن يُنفّذ الحكم، ولكن سابريتسيوس كان قاسي القلب حتى انه لم يلتفت الى نيكيفوروس. تابع نيكيفوروس توسّلاته فلم ينجح.

عندما بلغا مكان تنفيذ الحكم توسّل نيكيفوروس مجدداً لكن سابريتسيوس لم يلِن رغم الدموع التي ذرفها نيكيفوروس. وبخطوة جنونية، وكأن الله لم يرتضِ استشهاد سابريتسيوس العديم المحبة، قام هذا وأعلن جحوده الإيمان بيسوع واستعداده لتقديم البخور للوثن.

لما شاهد نيكيفوروس جحود صديقه ايمانه صعد الى المنصة بين الجموع وطلب من الجلاد قطع رأسه هو بدلاً من سابريتسيوس معلناً ايمانه بالمسيح وأخذ يتوسّل سابريتسيوس أن لا ينكر المسيح ويخسر كل العذابات التي نالها، لكن هذا لأخير لم يسمع وبما أن الجلاد لا يستطيع أن يقطع رأس أحد دون أوامر الوالي، أرسل نيكيفوروس الى الوالي الذي أعطى أمره للجلاد بقطع رأسه دون العودة اليه إن بقي على أيمانه.

بقي نيكيفوروس ثابتاً في ايمانه فقُطع راسه ونال إكليل الشهادة مجبولاً بمحبة فائقة، محبة حتى الموت. وقديسنا هذا، الذي يعني اسمه " الحامل النصر" ، كان منتصراً بمحبته فنال غبطة القديسين في الملكوت. فبشفاعته أللهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ سبت الأموات

" أيها المؤمنون ، إننا مكمّلون اليوم تذكار جميع الأموات منذ الدهر، كل منهم باسمه، الذين بالأمانة عاشوا بحسن العبادة، مسبِّحين الرب إلهنا المخلّص، المزمع أن يدين الأرض كافة، طالبين منه باتصال أن يهبهم جواباً صالحاً في ساعة الدينونة، لينالوا الوقوف عن ميامنه في الفرح في حظ الصدِّيقين وفي مورث القديسين المنير، ويكونوا مستحقين لملكوته السماوي"

(غروب سبت الأموات)

لقد رتب الآباء القديسون أن يقام في السبت الذي سبق أحد مرفع اللحم، أي أحد الدينونة ، قبل بدء الصوم الكبير، تذكاراً سنوياً لجميع الذي رقدوا بالرب، من زمن آدم الى يومنا هذا، ويصادف هذا العام سبت الأموات في الثالث عشر من شباط الجاري. ونحن نقيم

هذا التذكار ونرفع الصلوات مع آباء الكنيسة القديسين الإلهيين، متمثلين بهم ومنتفعين من خبراتهم الروحية وصلواتهم التي نقلوها الينا وعلّمونا إياها. فهم اختبروا أهمية الصلاة للراقدين ورغبوا أن نشترك بها. القديس آثناسيوس الكبير (القرن الرابع) يوصي عند موت أحدهم : " لا تتأخر عن أن توقد في القبر زيتاً وشمعاً داعياً المسيح الإله، لأن ذلك مقبول عند الله ويمنح مجازاة عظيمة. فإن كان الميت خاطئاً إصنع ذلك لتُحلَّ خطاياه، وإن كان صِدِّيقاً لتحصل له زيادة أجرة. وإن اتفق أن يكون غريباً معوزاً وليس له من يهتم بذلك فالله، بما أنه عادل ومحبّ للبشر، يُرجّح له الرحمة حسب الإستحقاق بواسطة فقره كما يعلم هو ". كما يُروى عن الأب القديس مكاريوس (القرن الرابع) انه عندما كان سائحاً في الصحراء وجد جمجمة يابسة لرجل يوناني ملحد فسألها قائلاً أيشعر مَن في الجحيم بعزاء وسلوة (عند الصلاة من أجلهم)، فأجابت قائلة: " نعم يحصلون على نياح عظيم عندما تصلّي أيها الأب على الراقدين." وقد حدث هذا بسماح إلهي ليكون جواباً عن تساؤله إن كان يحصل نفع من هنا للسابق رقادهم.

في هذا السبت نقيم الصلاة من أجل جميع من نعرف ومن لا نعرف، الذين ماتوا في أرض غريبة وبلاد بعيدة، في البحر أو الجبال المقفرة والوديان، الذين ماتوا بسبب الأوبئة والجوع والحروب والحريق والبرد أو أي نوع من الميتات، والفقراء والمعوزين الذين لم يحظوا بالتراتيل والتذكارات اللائقة. نحن والراقدون نشكّل كنيسة واحدة، كنيسة أحياء بالرب يسوع القائم من بين الأموات. لأن إلهنا هو " إله أحياء وليس إله أموات، والكل عنده أحياء " (لوقا ٢٠:٣٨) ولا شيء يفصلنا عن محبة المسيح، " لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوّات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رومية ٨: ٣٨-٣٩). وبما ان لا شيء يفصل بعضنا عن البعض الآخر، والرسول يعقوب أوصانا بأن "صلّوا بعضكم لأجل بعض" (٥:١٦)، فمن اللائق أن نصلّي دوماً للذين انتقلوا عنا كما نصلّي من أجل بعضنا البعض نحن الأحياء.

ونصلّي من أجل الراقدين في هذا السبت على الأخص، لأنه يسبق أحد الدينونة الذي يُقرأ فيه إنجيل الدينونة (متى ٢٥: ٣١-٤٦) حيث يجلس الرب في مجده ويفرّق بين الخراف الذين يضعهم عن يمينه حيث النعيم، والجداء عن يساره حيث العذاب. في هذا الأحد نصنع تذكار مجيء المسيح الثاني عندما سيأتي ليدين الجميع، الأحياء والراقدين. لذلك نصلّي في اليوم الذي يسبقه من أجل الراقدين لكي يشفق الديّان العادل عليهم ويمنحهم غفران الخطايا.

ان كان السبت يعني في العبرانية الراحة فإننا نرفع الصلوات ونقيم القداديس والصدقات لكي تجد نفوسهم راحةً أبدية وسبتاً في أحضان الرب في ملكوته.

من يتابع صلوات هذا اليوم لا بد أن يلاحظ رسالة الكنيسة الموجّهة لنا نحن الأحياء الباقين. إن هذا اليوم مناسبة لنا لكي نتأمل في حياتنا وندخل في عملية تقييم لما نقوم به. جميعنا سائرون نحو النهاية المحتمة، وسوف نعود الى التراب عاجلاً أم آجلاً. المهم: مَن مِنّا على استعداد تام؟ سبت الأموات يضعنا أمام الواقع الذي لا يفرّ منه: الجميع سيموتون وسيدانون، فإما نكون مع الخراف على اليمين او مع الجداء على اليسار. " هلمّ قبل الإنقضاء يا جميع الإخوة، لننظر الى ترابنا، متأملين ضعف طبيعتنا وذلّنا، ونعاين عاقبة منقلبنا وآلات الإناء الجسدي، وان الإنسان غبارٌ ومأكل للدود بالٍ ومضمحلّ، وان عظامنا جافة عادمة النسمة بالكلية. هلم نتوسم القبول مطرقين فأين المجد والشرف، أين جمال الصورة، أين اللسان الفصيح، أين الحواجب والأعين، الكل ظل وهباء. لذلك أيها المخلص إرث لنا جميعا" (سحر سبت الأموات).

لنصل يا إخوة لهم ولنا في هذا اليوم علنا نجد من يصلي لنا بعد موتنا فيرحمنا الله.

+ تأمل

يطلع النهار، وفي ساحة الدار استعداد للسفر. فالابن الثاني سيغادر البين الوالدي. لقد قسم الأب ماله وها هو الشاب، بعد أن أخذ حصته، يقصد الى بلد بعيد. فالحصان ينتظر عند الباب، والخدم اقفون هناك، ينظرون. والأب واقف هناك أيضا.

... إن هذا الذهاب لهو ذهابنا. والمثل يعيد ذكرى تاريخنا الخاص. فقد نكون تركنا والدينا على هذا النحو (" لي الحق في أن أعيش حياتي!") فلم ندرك، إلا بعد وفاتهما، كم أحبانا وكم تفتت قلبهاما لقرارنا. وإنها قصتنا الشخصية كذلك مع أبينا الذي في السماوات. فقد نكون انفصلنا عنه بسبب الخطيئة المتعمدة، أو نكون اكتشفنا اننا، دون أن نسلك سبيل الخطيئة، قد سرنا طويلا معه، يدا بيد، منقادين إليه، فاعتقدنا أن الوقت حان لنسير وحدنا، ونمارس حرية واعية، لكن حيث لم يبق من مكان لعلاقة الماضي الحميمة. "أعطيني حصة المال الذي يتوجب لي : أعطني حصة الحرية التي استحقها...". واستجاب الآب الذي في السماوات لطلبنا. فذهبنا الى أبعد مما ظننا، آنذاك، وسقطنا في تجارب الطريق. وها نحن الآن، ملقون على هذه الطريق، نصبو الى الأيام الماضية. فهل ترانا أدركنا سر عذاب الله – وذلك دون أن يمس كمال الكائن الإلهي –، وأن كل ولد يبغي الذهاب، يغرز سكينا في قلب الآب؟

مرَّت شهور وأعوام على ابتعاد الابن الثاني عن البيت الوالديّ، ولم يتبقَّ شيء من الميراث الذي ذهب به لأنه عاش في الخلاعة. وها هو جالس، هنالك في حقل، بائساً، متنغصٍ الوجه. فقد صار حارساً للخنازير، يشتهي الخرنوب الذي تأكله. إلاّ بارقة أمل تشرق في نفسه:"أنا اهلك جوعاً. أقوم وأمضي الى أبي...".

قد يكون مَثَل الابن الشاطر أكثر الأمثال كلها شعبيّة. غير أن مغزاه العميق أشدّ انغلاقاً على الأفهام، بوجه عام. وحتى الاسم الذي نطلقه على هذه الرواية، يشير الى ما ينقصنا، في فهمها. فنحن نقول: مثل الابن الشاطر. غير أن الابن الشاطر ليس شخصية المثل الاساسية السامية، وليس هو من يريد المثل أن يكشفه لنا. فوقائعه تدور حول الأب، وما يدعونا يسوع للتعرّف اليه هي شخصيّة الأب وحنانه. وعنوان المثل الحقيقي هو :" الاب الرؤوف."

لا شك أن توبة الابن هي التي تقدّم لنا عبرةً. فقراره العمليّ: " أقوم وأمضي الى أبي." والكلمات المتواضعة التي يحضّرها: " يا أبتِ، قد خطئت الى السماء وإليك ولست بعدُ مستحقاً أن أدعى لك ابناً " هذا رائع كلّه، وهو، بالنسبة لنا، تحريض مؤثّر. غير أنها توبة استدعاها عامل البؤس لا تحول في الشعور كلّي التجرّد. ان الإبن الشاطر يعرف أن يتدبّر أمره. أمّا الأب الرؤوف فلا ينشغل بأي حساب ويعيش على انتظار أليم. تُرى، هل يعود ذاك الذي مضى؟ – انه يترقّب عودته، وأنظاره على الطريق التي قد يصل منها ابنه. ؟ وفيما هو بعد غير بعيد رآه أبوه فتحنّن..."

هذه هي باعتقادي، عبارة المثل الجوهرية، ... ولا شيء يفوق هذه العبارة : "فتحنّن". ولا شيء يفوق هذه الحركة: " وبادر إليه، وألقى بنفسه على عنقه، وقبّله". وهل لنا أن نتصوّر ما يعني، في الشرق، أن يبادر شيخ ويلقي بنفسه على عنق الذي بدرت منه الإساءة ؟ على مخيّلتنا أن تكمل ما لا يقوله المثل وتستشفّ كلمات الأب: ؟ وهذا أنت، هذا أنت إذاً !...غيابك كلّفني دموعاً غزيرة... أنت لن تذهب ثانيةً، أليس كذلك ؟ بل تبقى معي ؟".

لقد جهلنا مدى حزن أبينا الذي في السماوات، عندما يتركه أحد أبنائه. وعلينا أيضاً أن نعلم مدى سروره، عندما يعود ولد الى البيت.

الأب ليف جيليه